

## طاهش الحوبان

لم تمض سوى عدة أسابيع منذ عاد النقيب عبدالله بن صالح إلى داره بعد عام قضاه في عدن ، هارباً من الإمام يحيى .. وكان قد إثر عفو عام صدر من الإمام عن مجموعة من الأحرار اليمنيين الفارين في عدن . وعاد النقيب ، ومكث في داره في الريف بين أسرته وعشيرته .. ولم يكن يشعر بالأمان أثناء ذلك بل كان متوقفاً أنه لن يسلم في يوم من الأيام من بطش الإمام .. وكم ندم لعودته من عدن وتركه زملاءه .. ولكن لم يكن بيده حيلة فلم يكن بقاؤه هنالك يجدي بالنسبة له .. بل لقد أصابه الملل والضجر وهو جامد هناك لا يقوم بأي عمل كبعض زملائه اللذين يكتبون المقالات الرنانة في الصحف والقصائد الثورية .. وهو يستطيع أن يقرأ ويكتب ويتكلم ولكنه غير قادر على أن يسوغ كلامه في قصيدة شعرية أو مقالة صحفية .. هو يستطيع أن يطلق الرصاص ويؤنب القبائل ويثير العشائر ويجلب الغوغاء .. ولكن كل ذلك في الشمال .. أما هنا فالسلاح هو القلم .. لذلك عاد إلى عشيرته حاملاً معه لقب "النقيب" عنهم ..

وحاول ولي العهد أن يتخلص منه فأرسل إليه رسولاً يطلب منه الحضور دون إبطاء .. وقد تعمد ولي العهد أن لا يكون الرسول من أحد أفراد حرسه لكي لا يفطن (النقيب) لذلك .. ولما كان الوقت ليلاً فقد خاف أهله عليه من الخديعة وذكره بما حدث لأحد أفراد الأسرة الذي دبرت له خديعة على يد الأتراك .. لكنه لم يحفل بذلك .. بل أسرج حصانه وأخذ تابعه واتجه صوب (تعز) لملاقاة ولي العهد .

---

"الطاهش هو حيوان مفترس يوجد في وديان اليمن الكبرى. وهو كما قيل مسخ ذئب وضبع .. أي نتاج أنثى ضبع اتصل بها ذئب أو بالعكس . وكان أشهرها صيئا هو ذلك الذي عرف بطاهش وادي الحوبان .. ويقع ذلك الوادي بالقرب من مدينة "تعز" وتمر به القوافل الصاعدة إلى (صنعاء) والهابطة منها . والوادي في حد ذاته مؤهلاً لتسكنه الوحوش الكاسرة، ففيه الكثير من الأحرار والمستنقعات والأدغال .. وما أن يخيم المغيب حتى تخمد فيه الحياة .. وإذا ما سافر الإنسان فيه ليلاً ووحيداً يعد من الأبطال المغامرين .. ذلك هو وادي الحوبان .. وذلك هو طاهش الحوبان الوحش الذي بات أسطورة تسكت به الأمهات أطفالهن عند البكاء أو المشاغية !! .. وبطل القصة حقيقي إذ أن القصة في حد ذاتها واقعية .. فالكل يعرف الشهيد (عبدالله بن حسن أبو رأس) أحد شهداء قبيلة (ذو محمد) ..

وصل سوق "القاعدة" وما زال أمامه قاع "الجند" ووادي (الحوبان) الرهيب الذي يسكنه ذلك الوحش الذي عرف (بطاهش الحوبان) الذي لم يدع قرية من قرى الوادي إلا غزاها ولا طريقاً من طرقه إلا وقطعه.. بل كان يغزو مدينة تعز نفسها..

واتجه (النقيب) نحو (قاع الجند) وكان الليل قد انتصف وأرسل القمر أشعته البيضاء الفضية من خلال السحائب راکضة نحو قمم الجبال الشاهقة والقاع من حولها ملأته السكينة والصمت الذي لا يقطعه غير عواء ذئب أو نعيق بومة.. وحوافر الفرس تدك الحصى وهو يقطع قاع الجند الكبير..

وعند مقهى في الطريق.. وقف التابع خائفاً أن يستمر سيده في مسيرته وأمامهم وادي (الحوبان) بوحشه الكاسر.. وأخذ التابع يقدم الرجاء لسيده أن يبيتا ليلتهما في هذا المقهى. ولكن كيف يخضع الرجل الذي خضعت له الرجال لووحش.. كان يتمنى أن ينزله منذ زمن بعيد..

ونهر (النقيب عبدالله) تابعه بحدة ، فما كان من التابع إلا أن أطاع كارها لعلمه أن سيده لن يتورع عن قتله إذا علم بخوفه وجبنه وقد اختاره من بين صفوة رجاله لكي يرافقه في هذه الرحلة.. وواصل السير.. ومن "قاع الجند" وصل بهم الطريق إلى رقعة واسعة من الأرض ملأى بالحجارة والرمال تشير إلى أن ذلك هو بداية لوادي (الحوبان) وزاد هلع التابع عندما شاهد قبة لضريح أحد الأولياء فهي تتوسط الوادي ولا يبعد عن عرين (الطاهش) إلا قليلاً.. وبينما التابع في فزعه كان (النقيب) يدندن بلحن شجي غير عابئ بما سيواجهه من أخطار..

وفجأة.. أجفلت الفرس.. وعلا صهيلها.. وما أن سمع التابع ذلك حتى صاح بسيده بصوت مرتعش:-

- لقد داهمنا (الطاهش) يا سيدي..

فأجابه النقيب محاولاً السيطرة على مخاوفه:-

- لا تخف يا هذا..

- ولكنه يحاذينا الآن يا سيدي..

- لقد رأيته منذ دخلنا الوادي يسير محاذياً لنا.. وقد اقترب الآن قليلاً

لأن الطريق ضيق.. فلا تخف وكن رجلاً..

لم يتمالك التابع نفسه وكان يسير بجوار الفرس من ناحية الوحش.. فأمسك بقدم سيده من الناحية الأخرى بينما كان (النقيب) يحاول السيطرة على فرسه. أما (الطاهش) فقد بدأ يظهر أمامهم بين أشجار الأثل وخلال

مستنقعات الوادي.. يقفز تارة ويمشي الهوينى تارة أخرى.. وكان "لطاهاش الحوبان" طريقة عجيبة اشتهر بها للقضاء على فريسته.. فهو يسير محاذياً فريسته مسافة كافية لتحطيم معنويتها، وعندما تفقد الضحية معنويتها تتصلب هلعاً وحينئذ يهاجمها ولا ينشب مخالفه فيها وإنما ينطحها حتى يلقيها أرضاً ثم ينطلق يصيح بعيداً عنها مسافة كبيرة مزهوا فخوراً. ثم يعدو إليها ليخلصها من ثيابها بعملية وحشية.. وسحبها إلى عرينه.. وكثيراً ما كان الناس لا يجدون من الضحية إلا ثيابها..

ولما يئس "الطاهش" من فريسته هذه المرة أن تنهار اقترب أكثر حتى بان ملامحه تماماً "للنقيب" الذي عرفه لأول مرة.. طويل المنكبين واسع الصدر أبيضه له رأس لبوة ومخالب فهد أما يدها فطويلة غليظة ورجلاه الخلفيتان قصيرتان، وكان مشوق القوام إلى درجة النحول في الوسط..

وأجفلت الفرس عندما شمت رائحته.. وانهار التابع وبدأ يتصلب ونزل (النقيب) من على صهوة فرسه.. وأمسك بها بقوة ثم صاح بتابعه أن يربطها في جذع شجرة كانت بجواره فلم يجد للتابع أثراً.. وصاح من جديد ولكنه سمع صوت حركة من فوقه فالتفت إليها فإذا به يجد التابع قد تسلق الشجرة وهو مغمض العينين غير شاعر بأي شيء حوله..

وربط النقيب عبدالله فرسه وأحكم ربطها في جذع الشجرة وهي تحاول الإفلات من رباطها ولا تدري أنها بمحاولتها هذه ترتكب حماقة كبرى وتغامر بحياتها..

وكان "الطاهش" في أثناء ذلك قد توقف وانتصب على مؤخرته بينما كان "النقيب" قد أمسك ببندقيته القديمة ورفع مفتاح الأمان وسار عدة خطوات مجاوراً لشجرة أخرى ربض بجوار جذعها.. واقترب (الطاهش) منه لينطحه النطحة الأولى وضغط (النقيب) زناد بندقيته فانطلق صوتها يدوي ممزقاً سكون الوادي، بينما اخترقت الرصاصة نحر (الطاهش) فانقض على جذع الشجرة وارتطم بها بينما كان (النقيب) قد وثب إلى مكان آخر وعباً ببندقيته برصاصة أخرى وأطلقها فاخرقت رأس الوحش الذي أخذ يتلوى من الألم ولكنه انقض من جديد قاصداً مهاجمة (النقيب) الذي لم تطاوعه البندقية في الانطلاق..

وتمالك (النقيب) أعصابه فأفرغ وعباً البندقية من جديد ولكن دون جدوى.. بينما الوحش قد اقترب منه وجهاً لوجه. وفتح ذراعيه ليطبق على

(النقيب) الذي أدخل ماسورة البندقية في فمه المفتوح واستل خنجره وأغمده في جوف (الطاهش) عدة مرات..

سحب "النقيب" جسمه من تحت جثة "الطاهش" ثم أصلح من شأنها وصاح بتابعه أن يأتي ليشاهد (الطاهش) ولكن التابع كان في سبات عميق من الرعب فلم يسمعه، وعندئذ قذفه بحجر فوق الشجرة فانتبه مذعوراً وتحرك..

وتقدم (النقيب) من الطاهش ليقطع لسانه كدليل يفخر به دائماً ولكن الوحش مازال يتلوى ويعاني من سكرات الموت فخاف (النقيب) على يده إذا أدخلها فمه أن يطبق عليها ولذا فقد أدخل مؤخرة بندقيته في فم (الطاهش) فلاكها بين فكيه حتى كاد أن يقع (النقيب) أرضاً..

وهنا ولأول مرة يبدي التابع حركة واعية فيأخذ حجراً كبيراً ويقذف به داخل فم الوحش وكانت المفاجأة عندما تحولت تلك الحجرة إلى رمال داخل فكيه.. ولم يجد النقيب بدا من الانتظار حتى مات (الطاهش) وانقطعت منه الحركة فقطع لسانه..

وتحرك النقيب مع تابعه نحو تعز وقد بدأ يشدو مغنياً والتابع يردد

بعد ذلك..